قصة الحاج سعيد

حج رجلان بيت الله الحرام وأثناء العودة إلى ديارهم جلسا في صالة الانتظار بمطار جدة الدولي؛ فتحدث أحدهما إلى الاخر قائلا:

– أنا أعمل مقاولا ، وقد أنعم الله علي بالحج هذا العام للمرة العاشرة

– فأومأ الرجل الأخر وكان اسمه سعيد برأسه وقال : حجا مبرورا ، وسعيا مشكورا ، وذنبا مغفورا

– وابتسم الرجل وقال :أجمعين ..وأنت هل حججت قبل ذلك ؟

-أجاب سعيد بعد تردد :والله يا أخي لحجتي هذه قصة طويلة ولا أريد أن أوجع رأسك بها.

– ضحك الرجل ، وقال : بالله عليك أخبرني ، فكما ترى نحن لانفعل شيئا سوى الانتظار .

– ابتسم سعيد قائلا :نعم الانتظار وهو ما تبدأ به قصتي فقد انتظرت سنين طويلة حتى حججت فبعد ثلاثين عاما من العمل معالج فيزيائي في مستشفى خاص استطعت أن أجمع كلفة الحج ، وفي نفس اليوم الذي ذهبت لأخذ حسابي من المستشفى صادفت إحدى الأمهات التي أعالج ابنها المشلول وقد كسا وجهها الهم والغم وقالت لي : أستودعك الله يا أستاذ سعيد فهذه آخر زيارة لنا لهذاالمستشفى !!!
استغربت كلامها وحسبت أنها غير راضية عن علاجي لابنها وتفكر في نقله لمكان آخر.

فقالت لي : لا يا أستاذ سعيد ، يشهد الله إنك كنت لابني أحن من الأب وقد ساعده علاجك كثيرا بعد أن كنا قد فقدنا الأمل به ومشت حزينة!!!

– استغرب الرجل وقاطع سعيد قائلا : غريبة طيب إذا كانت راضية عن أدائك ، وابنها يتحسن فلم تركت العلاج ؟

– أجابه سعيد : هذا ما فكرت به وشغل بالي فذهبت إلى الإدارة وسألت فتبين أن والد الصبي فقد وظيفته ولم يعد يتحمل نفقة العلاج

– حزن الرجل وقال :لاحول ولا قوة إلا بالله , مسكينة هذه المرأة .
– وكيف تصرفت ؟
– أجاب سعيد :ذهبت إلى المدير ورجوته أن يستمر بعلاج الصبي على نفقة المستشفى ولكنه رفض رفضا قاطعا وقال لي : هذه مؤسسة خاصة وليست

جمعية خيرية .

خرجت من عند المدير حزينا مكسور الخاطر على المرأة ، وفجأة وضعت يدي على جيبي الذي فيه نقود الحج فتسمرت في مكاني لحظة ثم رفعت رأسي إلى السماء وخاطبت ربي قائلا :اللهم أنت تعلم بمكنون نفسي وتعلم أنه لاشيء أحب إلى قلبي من حج بيتك ،وزيارة مسجد نبيك ، وقد سعيت لذلك طوال عمري ولكني آثرت هذه المسكينة وابنها على نفسي فلاتحرمني فضلك ، وذهبت إلى المحاسب ودفعت كل مامعي له عن أجرة علاج الصبي لستة أشهر مقدما ، ورجوته أن يقول للمرأة بأن المستشفى لديها ميزانية خاصة للحالات المشابهة .

– تأثر الرجل و دمعت عيناه وقال : بارك الله فيك ،وفي أمثالك.

ثم قال : إذا كنت قد تبرعت بمالك كله فكيف حججت إذن ؟

– فاجاب : رجعت يومها إلى بيتي حزينا على ضياع فرصة عمري في الحج ، ولكن الفرح ملأ قلبي لأني فرجت كربة المرأة وابنها ، فنمت ليلتها ودمعتي على خدي فرأيت في المنام أنني أطوف حول الكعبة، والناس يسلمون علي ويقولون لي : حجا مبرورا ياحاج سعيد فقد حججت في

السماء قبل أن تحج على الأرض , دعواتك لنا ياحاج سعيد !!!

فاستيقظت من النوم وأنا أشعر بسعادة غيرطبيعية ، فحمدت الله على كل شيء ورضيت بأمره .

وما إن نهضت من النوم حتى رن الهاتف ،وإذا به مدير المستشفى الذي قال لي

: أنجدني فصاحب المستشفى يريد الذهاب إلى الحج هذا العام وهو لايذهب دون معالجه الخاص ،لكن زوجة معالجه في أيام حملها الأخيرة ولا يستطيع تركها، فهلا أسديتني خدمة .. ورافقته في حجه .. فسجدت لله شكرا !!!

وكما ترى فقد رزقني الله حج بيته دون أدفع شيئا ، والحمد لله وفوق ذلك فقد أصر الرجل على إعطائي مكافأة مجزية لرضاه عن خدمتي له ، وحكيت له عن قصة المرأة المسكينة فأمر بأن يعالج ابنها في المستشفى على نفقته الخاصة، وأن يكون في المستشفى صندوق خاص لعلاج الفقراء ، وفوق ذلك فقد عيّن زوجها بوظيفة في إحدى شركاته . ورجع إلي مالي الذي دفعته .. أرأيت كان فضل ربي أعظم مما توقعت؟

- نهض الرجل وقبل سعيد على جبينه قائلا : والله لم أشعر في حياتي بالخجل مثلما أشعر الآن فقد كنت أحج المرة تلو الأخرى وأحسب نفسي قد أنجزت شيئا عظيما ، وأن مكانتي عند الله ترتفع بعد كل حجة ولكني أدركت الآن أن حجك بألف حجة من أمثالي ؛ فقد ذهبت أنا إلى بيت الله ، أما أنت فقد دعاك الله إلى بيته .

ومضى وهو يردد تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.